الموسم

مجلة فصلية مُصوَرة تعنى بالآثار والتراث

العدد الخامس — السنة الثانية 1990

الإمامة

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

مؤسس

أكاديمية الكوفة

هولندة

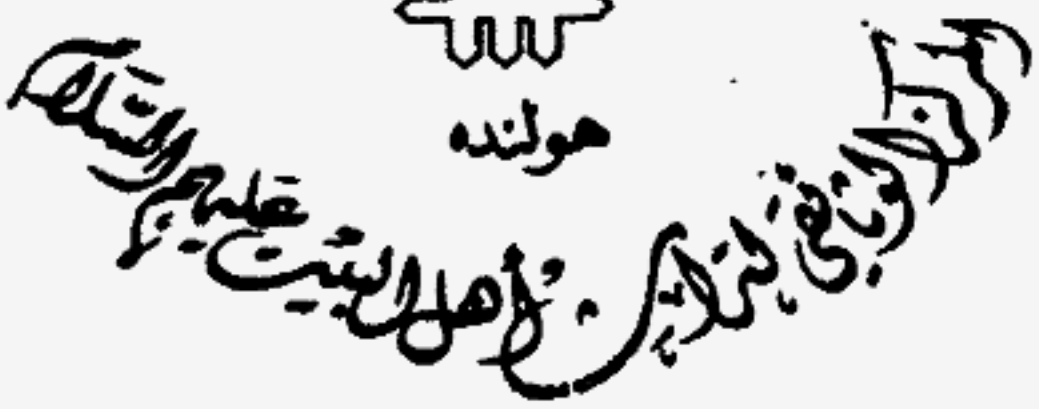
المركز العالمي لدراسات أهل البيت عليهم السلام

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

المراسلات

KUFA ACADEMY
POSTBUS 1113
3260 AC OUD - BEYERLAND
NEDERLAND
www.almawsem.net
www.shiaparlement.com

Shiabooks.net

رحلات

يومان في النجف

بقلم : يوسف هرمز

المرحوم يوسف هرمز ، كاتب صحفي ، من أبناء (الموصل) الحدباء ، وهو صاحب ورئيس تحرير جريدة «صوت الشعب» اليومية السياسية ، التي صدرت في بغداد في منتصف الثلاثينيات من هذا القرن ، وكان قد طوّف في عدد من المدن والقرى العراقية مسجلاً إنطباعاته عنها ، ومن الأمكنة التي حظي بزيارتها مدينة النجف الأشرف ، وقد إستطاع أن يلم بملاحظات عامة عن المدينة كتبها بتجرد وصدق ، مع أن نظرته لبعض الأمور جاءت قاصرة نظراً لضيق المدة التي قضاها في النجف (كما يذكر ذلك خلال المقال وأنه كان يرجع إلى الكوفة ويقضي ليله هناك) ومع ذلك يقول «نادراً ما يحصل التزاور ليلاً بين السكان» مع أن النجف بلد التزاور والدواوين والندوات والبيوتات المفتوحة ليلاً ونهاراً لمختلف الطبقات .

ومن ذلك دعوته لإنشاء جامعة دينية في النجف مع أن النجف عبارة عن جامعة دينية كبرى تنتشر فيها عشرات المعاهد العلمية عدا عن الجوامع والحسينيات التي تغصّ بحلقات البحث والدراسة ، ولعله كان يلّوح بكلامه إلى تقصير الدولة ـ يومذاك ـ بإهمالها تأسيس جامعة رسمية في هذه المدينة ، وعلى كل حال فهذه الملاحظات لا تقلل من أهمية الإنطباعات المدوّنة هنا عن النجف ، وبالرغم من أنها كتبت ببساطة تامة ؛ وبالأسلوب الصحفي الذي يلتقط الحدث دون تفاصيل ليدعك تتابع الرحلة بشوق وتطلع ، مع هذا فإن هذه الإنطباعات دعتنا نستغرق في ذكريات طويلة وجميلة مع أيام النجف الماضية . . . دورها ومدارسها وسراديبها وكنوزها المخبأة ، كما أنها تضعنا أمام حقائق كثيرة كعروبة المدينة الخالصة ـ تابع ذلك خلال النص ـ وحقائق أخرى تذكرنا ـ بألم ومرارة ـ أن الإهمال للنجف قديم وأقدم منه العداء لأسدها الرابض على الذكوات البيض الذي ما برحت ذكراه شوكة في عيون الظالمين . . فيا (يوسف هرمز) لروحك الطيبة تحية ـ وإن جاءت متأخرة أكثر من نصف قرن لكنها مقبولة في رحاب أبي تراب .

ملاحظة : نُشرت الرحلة على حلقات في جريدة صوت الشعب البغدادية بدءاً بالعدد ٣٦٦ الصادر في ٣ رمضان ١٣٥٤ هـ ـ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٥ .

أما الصور المرفقة هنا فهي من أرشيف مجلة الموسم .

النجف الأشرف :

تدعى مدينة النجف عاصمة العراق العلمية وهي المدينة التي فيها ضريح علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه . وأرض النجف مقدسة عند الكثيرين من المسلمين كما أنها محترمة عند العراقيين وغير العراقيين لأنها تضم رفات مئات الألوف من الأعزاء والأحبة ترسل إليها الموتى من أنحاء العراق والبلاد الأجنبية لتستقر في تربتها .

العلماء الأعلام :

والنجف مدينة العلماء الأعلام والفضلاء الكرام من أدباء وشعراء وأهل العلم والفضل من الفقهاء والمجتهدين الذين يشار إليهم بالبنان والخطباء الأعلام ومن مؤلفين ومدرسين وكتّاب أفاضل يعدون بالعشرات بل بالمئات وبهذا الإعتبار فهي قبلة طلبة العلم يأتون إليها من أقصى البلاد .

وفيها مدارس معتبرة اخرجت للمجتمع رجالاً أكفاء وعلماء أذكياء غذوا اللغة العربية وأغنوها بمؤلفات قيمة .

مدارسها :

ونسبة المدرسين والمدارس والمتعلمين «الرجال» فيها إلى الألوية الأخرى أكثر من غيرها وبهذا الإعتبار تحسب عاصمة العلم العراقية .

مدينة النجف :

تترك السيارة أبي صخير متوجهة إلى الشمال الغربي فتأخذ الأرض بالإرتفاع رويداً رويداً كأن السائر صاعد في نجد إلى أن يصل النجف الأشرف التي ترتفع ٣٦ متراً عن الكوفة الكائنة على الفرات .

ووراء المدينة البحيرة المعروفة ببحيرة النجف حيث تنخفض الأرض إنخفاضاً هو أوطأ من مستوى نهر الفرات الموازي لها .

سور المدينة :

ومدينة النجف محاطة بسور علّوه من ثماني إلى عشرة أمتار مبني بالطابوق والجص حول المدينة من جميع الأطراف ، إلاّ طرف «البحر» وفي السور شبه مفاتيل عديدة تشبه بناء باش

طانبية عند عين الكبريت في الموصل وفيها نوافذ من فوق بغية الدفاع عن المدينة في حالة الحصار خوفاً من مهاجمة أعراب البادية في سالف الزمان .

البحر :

يقع بحر النجف من جهة الجنوب الغربي من المدينة يبتدىء من نهر الفرات عند أبي صخير ، وهي قصبة القضاء المعروف بهذا الاسم ، وينتهي فوق المدينة عند كهوف تظهر طبقات الأرض منها . ويغلب على ظني أن هذا البحر حصل هنا بتأثير زلزال انخفضت من جراءه الأرض فانسابت إليها مياه الفرات فتكونت هذه البحيرة هناك وعرض البحيرة نحو عشرة كيلو مترات . ويقال أنها في سالف الزمان كانت متصلة بالبصرة القديمة فكانت تمخر بين النجف والبصرة السفن الشراعية جيئةً وذهاباً .

دورها وأسواقها :

بيوت مدينة النجف مبنية بالطابوق والجص وهي على الأغلب ذات طابقين وهي ضيقة في الداخل وعميقة ينزل إلى فناء الدار إليها بسلالم وبعضها مساوية للشارع . أما أبواب الدور فصغيرة وضيقة كأنها رتاجاً أو بوابة صغيرة في باب خان من خنوات بغداد .

أما أسواقها فقليلة بالنسبة إلى المدينة . وفيها سوق طويل مدخله من جهة الشرق ينتهي عند مدخل الصحن .

الكوفة :

وقبل أن أستوفي الكلام عن مدينة النجف أحب أن أذكر شيئاً عن الكوفة لأن عند وصولي إلى النجف زرت وكيل قائممقام القضاء وكان الوقت عصراً فأخذني معه إلى الكوفة لأبيت هناك ثم أرجع إلى النجف .

والمسافة بين الكوفة والنجف ٧ كيلومترات فالكوفة على نهر الفرات والنجف في الصحراء بعيدة عن الماء لا يحيط بها غير الرمال .

وبين الكوفة والنجف سكة حديد تسير عليها العربات تسحبها الخيل وطريق آخر للسيارات يستغرق من الوقت ربع ساعة .

جامع الكوفة :

وقبل أن يصل السائر إلى الكوفة من جهة البر يصل إلى الجامع الشهير ، جامع الكوفة القديم فهو أعظم جامع رأيته يسع من المصلين أكثر من ثلاثين ألفاً . وهو الجامع الذي صلى فيه

کتابخانه و مرکز اطلاع رسانی
بنیاد دایرة المعارف اسلامی

مسلم بن عقيل حينما طلبوا إلى الحسين ، عليه السلام ، ليقدم إلى العراق ويتولى الخلافة . ثم نكثوا البيعة معه ووقعت فيه الحوادث المشهورة كما سجلها التاريخ . إلا أن بناء الجامع لا يظهر عليه القدم وقد يكون رمم في أزمان مختلفة . فكأنه الآن حديث العهد ولكن سوية الأرض فيه أخفض من الأرض التي حوله . وهو محاط بجدار عالي ومن جميع الأطراف غرف كأنها صوامع الرهبان تبلغ المئات .

تنور الطوفان :

وفي وسط صحن الجامع يوجد غرف تحت الأرض ينزل إليها بالسلالم . وفي أرض هذه الطبقة بئر يدعى التنور يقال إنه فار من الأرض وخرج الماء منه فصار الطوفان المشهور الذي أغرق جميع الأحياء وسلم من بينهم أبونا نوح عليه السلام .

. عودة إلى النجف الأشرف :

إن مدينة النجف مدينة إسلامية هامة فيها مرقد بطل العرب والإسلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، عليه السلام . وهي المدينة المقدسة التي يؤمها المسلمون من سائر الأقطار كما هي أيضاً موضع تبجيلهم وإحترامهم ويمكن إعتبارها مركز الفرات أيضاً لأنها موطن العلماء وكبار رجال الدين تقدم لهم الطاعة ويرجع إليهم في أغلب المهمات المدنية وغيرها من قبل زعماء المنطقة المذكورة .

ويفد إلى النجف طلاب العلم من الأقطار الإسلامية كالهند وايران والأفغان وغيرها ، بالعشرات ، من بلدان مختلفة . لأن فيها من العلماء المشاهير المبرزين أمثال الحجة الأكبر الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء . والحجة المجتهد السيد أبو الحسن والحجة العلامة الكبير الشيخ عبد الكريم الجزائري . والعلامة الشيخ عبد الرضا الشيخ راضي . والعلامة الشيخ جواد الجواهري . والحجة الكبير الشيخ هادي كاشف الغطاء والسيد ميرزا علي آغا وغيرهم من الفطاحل الذين لهم منزلة عظيمة في نفوس الملايين من الإسلام وغيرهم .

وتمتاز النجف بالنهضة العلمية والأدبية وبروحها العربية التي لا تشوبها شائبة . وقد كانت أيام الثورة العربية العراقية مرجع الزعماء في المفاوضات والمداولات . وقد حافظت هذه المدينة على بقاء اللغة العربية فيها بعيدة عن الرطانات المختلفة . وفيها بعض المطابع وقد صدر في النجف عدة صحف ومجلات وجرائد سياسية في عهد الإنكليز وقبله . وهي عربية النزعة والإحساس عربية العادات والتقاليد .

جمعياتها :

في النجف جمعية الرابطة العلمية الأدبية تضم خيرة رجال البلد وقد اتصلنا بحضرات أعضاء الجمعية المذكورة من زمان فهم أولي الفضل يرجى لسعيهم كل فائدة . وقد زرنا متدى النشر وتشرفنا بمعرفة العاملين فيه فهم يسعون لإخراج الكتب القيمة منها تفسير القرآن الكريم يقع بعشرة مجلدات . وفي النجف أيضاً فرع لجمعية المنتجات الوطنية .

وبعد أن نصف ما في هذه المدينة من مظاهر العيش والأعمال والمباني وغيرها سوف نذكر ما نراه لازماً لهذه المدينة التي هي محرومة منه في الوقت الحاضر .

مدارس النجف الأشرف :

في النجف مدارس إبتدائية ومدرسة ثانوية كاملة الصفوف فيها ما يقارب ١٥٠ طالباً وعدا المدارس المذكورة يوجد طلبة كثيرون يدرسون العلم على بعض العلماء في مدارس خاصة وبعض هؤلاء يقصدون مدينة النجف من جهات عديدة بغية التخرج على أيدي أساتذة قديرين مشهورين .

مدرسة الغري :

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

في النجف كذلك مدرسة أهلية معتبرة هي مدرسة الغري تأسست منذ ١٣٤٠ هجرية بمساعدة المغفور له جلالة الملك فيصل وكانت موضع رعاية جلالته فكان يزورها كما كان يزور النجف . وهي إبتدائية كاملة فيها من الطلاب ٦٠٠ طالب نصف ما يقارب هذا العدد منهم يدرسون ليلاً ونصفهم نهاراً .

وتدير هذه المدرسة هيئة من مختلف الذوات فيهم أدباء وعلماء وتجار . وعدد أعضاء الهيئة ١٤ عضواً والمدرسة المذكورة تطبق منهاج المعارف في تدريسها إلا أن تدريس الإنكليزية فيها يبتدىء من الصف الثالث إلى باقي الصفوف التالية .

المقابر في النجف :

تشغل المقابر في النجف أضعاف مساحة المدينة إذ أنها محاطة بالمدافن تقريباً من جميع الجهات إلا الجنوب الغربي حيث يقع منها «البحر» وهذه المدافن ترى للزائر كأنها مدينة قائمة في تلك الأرض ولكنها بالحقيقة مدينة الأموات لا مدينة الأحياء ففي هذه المدافن تقوم قبب وغرف مزخرفة وبعضها محاطة بجدران وكلها مبنية بناية متقنة جيدة بالجص والآجر ولبعض هذه المدافن سراديب عميقة تحت الأرض ينزل إليها بسلالم .

وبعض اعضاء جمعية الرابطة الادبية في النجف الاشرف حين تأسيسها سنة ١٣٥١ هـ ويُرى بينهم : الشيخ محمد علي اليعقوبي والسيد محمود الحبوبي والشيخ محمد علي البلاغي والسيد عبد الوهاب الصافي .»

«الهيئة الادارية لمنتدى النشر في النجف الاشرف : الشيخ محمد رضا المظفر والسيد موسى بحر العلوم والشيخ عبد الهادي حوزي والسيد يوسف الحكيم والسيد محمد علي الحكيم والسيد هادي فياض والشيخ جواد قسام» .

رحلة نقل الجنائز الى النجف لدفنها في وادي السلام

جلسة في الصحن ودرس يلقيه أحد العلماء

النجف مدفن الملوك والأمراء :

ولما كانت مدينة النجف وتربة أرضها مقدسة عند المسلمين صارت مدفناً أيضاً لكثيرين من ملوك المسلمين والأمراء والعظماء وأكابر القوم في بلدان وشعوب نائية بعيدة وعدا هؤلاء ترى الجنائز تدخل المدينة كل يوم بالعشرات من العراق ومن خارج العراق لتدفن في هذه البقعة الشريفة .

الجنائز الوافدة :

ولما تدخل المدينة جنازة من الخارج يحمل الجثمان إلى المرقد ويُطاف به حول الضريح في الصحن ثم يحمل إلى خارج المدينة ليدفن في مقره الأخير .

السراديب في النجف :

يشتد الحر أيام الصيف في النجف بحيث تبلغ الدرجة ٤٤ سنتغراد . فأرض النجف رملية من جميع أطراف المدينة فعدا البحر الذي تكلمنا عنه ، وقد جف في السنين الأخيرة إلا قليلاً من الأرض تتجمع فيها مياه الأمطار أو يطفح عليها نهر الفرات إذا كسرت السداد عليه ، فعدا ذلك فإنه لا يوجد حول المدينة لا شجرة ولا ساقية ماء ولا عشب الحقل ولا زرع ما . لذلك تشتد الحرارة إشتداداً لا يطاق إحتمالها خاصة أن البيوت مبنية من الجص والطابوق فيضطر الناس إلى طلب البرودة في ذلك القيظ المحرق . ولما كانت الضرورة تفتق الحيلة عمد الناس إلى حفر طبقة في الأرض هي هذه السراديب التي تؤلف أكثر من طبقة واحدة تحت الدور مباشرة[1] .

أوصاف السراديب

هناك ثلاثة أشكال للسراديب ، النوع الأول : هو سرداب عادي هو طبقة واحدة أولى تحت أرض البيت أو صحن الدار ، والنوع الثاني : يدعى في إصطلاحهم «نيم سن» وهو سرداب ذو طابقين فإن المرء ينزل إلى الطابق الأول وهناك يشاهد بعض الغرف وأماكن أخرى للجلوس والراحة ثم ينزل في درج آخر إلى الطابق الثاني وهو أبرد من الطابق الذي فوقه . أما النوع الثالث : فهو سرداب السن . فإن «نيم سن» أو نصف سن هو الطبقة الأولى التي تلي طبيعة الأرض الرملية العادية لأنها تراب عادي . يليها طبقة تراب أصلب يشبه الكبل كما يعرفه

---

(١) النجفيون يؤثرون سراديبهم على أمكنة الاصطياف المعروفة في العراق وفي هذا المعنى يقول المرحوم السيد عبد المهدي الأعرجي :

يا أيها المصطاف في شقلاوة إني امرؤ أصطاف في سرداب

الموصليون أو الطين خاوه كما يسميه البغداديون والبصريون . وأما سرداب السن فهو السرداب الذي يحفر أو ينقر عليه بفتح منفذ في طبقة الحجر الحلان إلى طبقة رملية ينسحب الرمل منها فتكون أرض السرداب طبقة أخرى كيل أو حلان والسقف حلان فيكون السرداب المذكور في الطابق الثالث مما يلي قلب الأرض أو مركزها الباطني .

وعمق هذه السراديب يكون عادة خمسين أو ستين قدماً أو أكثر . فإذا أخذنا صحن الدار قياساً فعمق طبقات الدار التحتانية يكون ضعفي إرتفاع البيت نحو السطح أو ثلاثة أضعاف . وكل ذلك هرباً من الحرارة وطلباً للبرودة أيام الصيف المحرقة .

الآبار :

وتحت هذه الطبقات كلها يحفر بئر في أرض السرداب ويلزم أن يكون قعر البئر تحت مستوى قاع «البحر» والبئر المذكور ينفذ إلى السراديب الثلاثة الكائنة واحد فوق الآخر وبذلك يحصل تبادل بين البئر والسراديب في تحريك الهواء لوجود طبقة منه ساخنة وطبقة باردة الأولى لطاقته والثانية لضغطه فتبرد السراديب كلها ويتنفس الساكنون فيها هواء يتبدل على الدوام .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سراديب النجف والغازات السامة :

كنت قد سمعت بسراديب النجف سابقاً ولما زرت هذه المدينة طلبت من أحد الأصدقاء مشاهدة واحداً منها فأشعل الخادم فانوساً ونزل قدامي فنزلت ونزل بعض الرفاق ورائي . ولكن أثناء هذه المشاهدة كان يخطر شيئاً آخر على فكري هو غير ما جئت من أجله . وذلك كنت أفتكر بعمق هذه السراديب وكيفية استخدامها ولكن نفعها في غير غاية الهروب من الحر . إن هذه السراديب هي خير واسطة يلتجىء إليها أهل المدينة إذا اشتبك العراق في حرب مع دولة من الدول وهاجمت تلك الدولة ، لا سمح الله ، مدن العراق وألقت عليها الغازات السامة . فإن أهل النجف يكونون في مأمن من تأثير هذه الوسائل الجهنمية . وطبعاً هذه السراديب لم تكن بنت هذا الجيل بل إنها قديمة لم تكن الغاية من وجودها إلا كما ذكرنا آنفاً[1] إلا أنها ذات نفع لا يقدر فيما إذا داهمت طيارات العدو المدن الآمنة في حالة حرب .

---

(١) من أعجب ما رأيت من السراديب السرداب الذي بناه الخلجيّون حكام دهلي وهو عبارة عن نفق طويل جداً ويُنزل إليه من باب عند مسجد قوة الإسلام الشهير بمنارته المعروفة (قطب مينار) قرب نيودلهي الحالية ويتصل بمدينة (اكرا) على بعد ٣٠٠ كيلو متر تقريباً (سعيد) .

سكان النجف :

يبلغ عدد سكان مدينة النجف ٤٥ ألفاً منهم نحو ١٠٠٠٠ إيرانيين بالتجنس وأغلبهم عرب وإن كانوا من تبعة دولة إيران . والذين يتكلمون اللغة الفارسية قليلون .

ومع وجود هذا العدد الكبير الذي يقرب من ربع سكان المدينة فإني لم أر أحداً من الإيرانيين يلبس البرنيطة سوى القنصل الإيراني المقيم في النجف . ويوجد أيضاً غير الإيرانيين في المدينة وهم هنود وأفغانيين وأغلبهم من طلبة العلم .

حالة المدينة ليلاً

لما كانت مدينة النجف إسلامية مقدسة فهي في جميع مظاهرها وقورة رزينة لا تغشاها جبلة المدن العصرية فإنك لا تسمع فيها صوت الحاكي (المكرافون) ولا راديو ولا غناء ولا آلة طرب أو ما شابه ذلك . ونادراً يحصل التزاور ليلاً بين السكان إلا العلماء أما غير ذلك فإن الدواوين لإستقبال الناس من الزائرين نادرة .

الماء والكهرباء في النجف :

في المدينة مشروع الماء والكهرباء أيضاً وقد قام بهذين المشروعين المفيدين الحيويين رجل من إيران توفي منذ سنوات فأخذ ورثته على عاتقهم بقاء هذا المشروع والصرف عليه من مالهم الخاص والذي يدير المشروع ساكن الآن في طهران فيقوم عنه وكيل في النجف . فالمدينة منارة بالكهرباء إلا أن الماء المجلوب من نهر الفرات لا يكفي للسكان وبعض المحلات ليس فيها ماء .

توسع المدينة :

ذكرنا أن المدينة مسورة بسور مبني من الحجارة الجص وجميع الدور ضمن هذا السور ولضيق البيوت وازدحام السكان فيها أنشأت الحكومة بعض المباني خارج السور كما أحدثت عرصات وعرضتها للبيع فانفسح مجال لبعض الناس أن يشتروا العرصات ويبنوا عليها البيوت فصارت الآن محلة جديدة خارج السور يبلغ عدد دورها نحو ٥٠٠ داراً وهي في توسع وازدياد مستمر لأنه يوجد عرصات أخرى تتولى المالية بيعها .

سراي الحكومة :

إن بنايات الحكومة الآن كائنة بين المدافن إلا أن النية منصرفة إلى تشييد سراي للحكومة يتفق وأهمية المدينة . وسوف يباشر فيه عن قريب . كذلك علمت أنه يوجد ناد يعود للحكومة

وسوف يفتح عن قريب وذلك لأجل الموظفين وفي المدينة مستشفى . لكن الصحة بنوع خاص جيدة لأن هواء المدينة جاف ناشف ولولا صيفها المحرق لكانت النجف تعد طيبة الهواء .

التجارة والأشغال :

في النجف متعلمون كثيرون إلا أن الأعمال لهؤلاء قليلة وأهل البلدة يتعاطون التجارة والبيع والشراء مع نجد وأهل البادية وغيرهم من المجاورين . والبعض منهم مثريين يستغلون دراهمهم في عقد القروض للمحتاجين من الزراع وغيرهم .

وفي المدينة بعض الصناعات مثل الحياكة وغيرها ففيها أنواع كثيرة يحوك أصحابها العباءات والمناديل الوطنية الجديدة . والنساء يغزلن بالمغزل الصوف لهذا الغرض وكثيراً ما ترى لمة نساء هنا وهناك في الشارع خرجن للجلوس في الشمس أيام الشتاء لضيق الدور للدفء وعن يغزلن الصوف بالمغزل .

وأغلب تجارة البلد الرائجة هي السكر والشعوة وبعضها أموال مهربة يأتي بها الأعراب من جهة البادية .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الأمن في المدينة :

حصلت قبل الآن بعض أعمال الفوضى في المدينة ومنها حدوث بعض سرقات إلا أن الشرطة كانت شديدة على المجرمين فوقفت على تركيز دعائم الأمن في هذا القضاء حتى قبضت على جميع المجرمين واسترجعت المسروقات التي حدثت قبل شهور حتى أنها ألقت القبض أخيراً على سارق دائرة البريد والمحكمة منذ شهور .

أهالي النجف :

كتبت عن أهل البصرة سابقاً وذكرت أنهم لطاف المعشر سليمي النية دمثي الخلق . وأهل النجف مع كون النجف ليست مثل البصرة في الإختلاط ومحط الراحل والغادي من مختلفي الأجناس والأديان ، إلا أن أبناء النجف أناس يأنس المرء فيهم الكرم وسمو الأخلاق . فإنهم متأدبون في كلامهم مع الغريب لهم شرف النفس وهم أصحاب المروّة صادقين متهذبين يغلب عليهم الورع والتقوى والحياء . يستقبلون الغريب بإحترام وحشمة وفوق ذلك هم متسامحون إلى حد بعيد .

مرقد الإمام علي :

إن الشيء الذي تفاخر به النجف المدن الأخرى هي وجود هذا المرقد الكريم فيها مرقد الإمام علي(ع) ومن هذا المرقد تستمد تربتها الشرف رفعها ورفع اسمها بين المدن الإسلامية الأخرى . فرأينا من الواجب وصف هذا المرقد الذي يؤمه المسلمون من أقطار الدنيا للتشرف بزيارته . وذلك كما سمحت لنا الظروف من مشاهدة بعض المظاهر منه وعرفنا قليلاً من السؤال من هذا وذاك .

القبة الذهبية :

يشاهد القادم للنجف القبة الذهبية وهو على بعد عشرات الكيلومترات تتلألأ في الجو مع منارتين الواحدة من هنا والثانية هنا على جانبي القبة يبلغ قطر القبة لعين الرائي على بعد نحو ٥ مترات في مثل هذا الإرتفاع أو أكثر من القاعدة التي يبتدىء بها العقد إلى القمة فكل هذه المسافة مطليّة بذهب خالص يظهر فيها ظهور الآجر المصفوف الواحدة بجانب الأخرى .

كذلك المنارتين (المئذنتين) فهما مطليتين من تحت أي ما فوق قامة الرجل إلى موقف وقوف المؤذن فما فوق إلى القمة بالذهب الخالص ، بشكل الآجر الكاشي ولكن من ذهب لا من السمنت ! وتحت إحدى المنارتين الخزانة التي سنصفها فيما بعد وما تحويه من المجوهرات التي لا تثمن .

وللمرقد هذا أربعة أبواب وأروقة داخل الصحن وغرف وحول الضريح فكل هذه الجدران مع سقوفها وواجهاتها لا مثيل لها بالزخرفة والنقش البديع وإن كانت القبة والمئذنتين نفيسة بالذهب فإن هذه النقوش لا تقل نفاسةً وروعةً وجلالاً وبهاءاً وتنميقاً وزخرفةً عنها . فهي كلها آية في الفن والجمال . وبجانب المنائر والقبة تقوم ساعة بديعة يسمع منها أهل المدينة الدقات ويعرفون الوقت بواسطتها .

التدريس في الجوامع :

ويبتدىء التدريس في هذا الجامع من أول الليل فيقوم الفقيه أو العالم بإلقاء محاضرة أو تلقين الطالب الدروس الدينية .

ولما كان المرقد الشريف هذا ينتهي في نهاية السوق الذي يشمل على أهم الحوانيت والمخازن فإن العابر ، من أهل المدينة وغيرهم يمر فيه إلى الطرف الثاني . ومن أبواب المرقد يذهب إلى الجهة التي يقصدها من المحلات أو الأسواق الأخرى .

ولا يجوز لغير المسلمين الدخول إلى صحن هذا المرقد أو المرور منه .

أما المساجد الأخرى في المدينة فليست على شيء من الفخامة يستحق الذكر بل أكثرها لا يتفق وعظمة المدينة هذه وسمو مكانتها في قلوب المسلمين .

الكنز الثمين :

سمعت من سائح أميركي زار متحف مصر قال : «إني لم أر في حياتي ذهباً بقدر ما رأيت في متحف مصر بالقاهرة . فهو أغنى متحف بالذهب من جميع المتاحف التي زرتها من متاحف أميركا وأوربا» فأما من حيث الروّية والمشاهدة فأظن أن طلاء المنارتين والقبة في النجف بالذهب يزيد هذا على كل مجموعة من الذهب يوجد منها في مكان واحد . ولكن كل هذا الذهب الذي يراه الزائر لا يساوي شيئاً بالنسبة إلى الموجود في الخزانة التي تحت إحدى المنارتين في هذا المرقد على ما روى الذين شاهدوها عندما فتحت منذ أسابيع قليلة .

فإن السيوف والخناجر المرصعة وقناديل وثريات ومجوهرات ثمينة من ياقوت وزمرد ولؤلؤ والماس وفصوص من حجارة كريمة لا تحصى ولا تثمن . وهناك بعض الدُّرر قال أحد الحاضرين أن بعضها بحجم بيضة الحمام ، وقد دخل جواهري مع الهيئة التي أنيطَ بها فتح هذه الخزانة قال : إن بين المجوهرات جواهر لا تثمن لنفاستها وقال آخر إن قطعة واحدة من القطع الثمينة في هذه الخزانة يكفي ثمنها أن يفتح شارع بين النجف وكربلاء يبلط ويقير ويشجر بأشجار على جانبيه وتسقى هذه الأشجار بفتح ساقيتين من الماء على طول هذا الطريق .

ونفاسة هذا الكنز كائنة من الوجهة التاريخية علاوة على ثمن الجواهر فيه . فهناك «بازبند» يقال أنه لنادر شاه ملك العجم فيه ماسة بقدر البندقة كان الشاه يربطه على يده كما كانت عادة بعض الملوك في ذلك الزمن .

وضع الجواهر في متحف :

ويفتكر البعض أن في النية بناء متحف بجانب المرقد توضع هذه المجوهرات فيه وتكون عرضة للمشاهدة للزائرين وذلك قصد الانتفاع منها بهذه الطريقة .

النواقص في مدينة النجف :

بعد أن وصفنا هذه المدينة وصفاً موجزاً نعترف إننا لم نعرف كل ما في المدينة لأن قضاء يومين في مدينة من المدن لا يمكن للمرء أن يلم بجميع نواحي الحياة فيها فكل ما شاهدناه

وصفناه كان ظاهراً للعيان ولا يمكن لعابر سبيل أن يلم بكل شيء من الحقائق إلا إننا مع ذلك يمكننا أن نعين بعض الأمور لم نر لها أثراً أو رأيناها ناقصة في مقام المدينة وإليك ما لاحظناه بعد التحري والسؤال .

لما كانت هذه المدينة مقدسة في نظر المسلمين فهي بحاجة إلى إنشاء كلية دينية لطلاب العلم . كما إنها بحاجة إلى فتح مدارس ابتدائية وأولية جديدة وذلك لكثرة الطلاب فيها .

وقد رأيت البلدية فقيرة جداً كما رأيت العناية بنظافة المدينة قليلة أيضاً . إذ أكثر شوارع المدينة ليست نظيفة النظافة المطلوبة فلفقر البلدية أرى من الواجب أن تساعدها الحكومة مساعدة مالية لتقوم بمشاريع مفيدة . وتحتاج البلدة إلى فتح مستوصف في وسط المحلات ليفي بحاجة السكان .

ليس في النجف مدرسة للبنات :

ومن أعجب الأشياء إننا ننعت النجف الأشرف بعاصمة العراق العلمية بينما ليس فيها مدرسة للبنات ! وإذا كان على التقدير الأول أن جميع أهل النجف متعلمون فإنه يبقى فيها ٥٠ بالمئة أميين (أميات) .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وقد علمت أن الحكومة سوف تفتح عن قريب مدرسة لبنات الموظفين لأن بعض البنات لهؤلاء يذهبن إلى مدرسة البنات في الكوفة وبعضهن محرومات من المدرسة ، وستكون هذه المدرسة مقصورة على بنات الموظفين .

وإننا لا نريد أن نؤاخذ أحداً على رأيه في انتشار العلم فإننا نرى من واجبنا وصف الحالة بكلمة وغض الطرف عما لا يعنينا . وهنا أذكر كلمة بهذا الشأن . أنه لما زرت النعمانية علمت كيفية فتح المدرسة للبنات فيها . ذلك أن مدير الناحية عبد اللطيف بك الأطرقجي سعى بفتح المدرسة للبنات في القصبة ولما فتحت ولم يرسل أحد ابنته من أهل البلدة إلى المدرسة أدخل ابنته وأمر جميع الموظفين أن يرسلوا بناتهم من كاتب وفراش وشرطي وكل من يتقاضى راتباً في الحكومة . فكون من هؤلاء البنات صفوفاً لمدرسة أولية . ولكن لم تمض أيام حتى قام أبناء البلدة يتوسلون لقبول بناتهم في المدرسة المذكورة . وعليه أرى أن الحكومة تظلم الموظفين بحرمان بناتهم من رشف العلم والتهذب في المدارس على أيدي مربيات فاضلات وما عليها إلا فتح مدرسة للبنات بأقرب وقت . وكل يوم يمر من دون وجود هذه المدرسة فهو إهمال بل جناية لا تغتفر .

حاجة المدينة إلى الدعاية

وإني أرى أن مثل مدينة النجف بحاجة إلى الدعاية . فلو كان جمعية مؤلفة من مختلف الطبقات غرضها الأجتماع بالزوار والسياح الأجانب حتى إذا زاروا هذه المدينة وكتبوا عنها تكون كتاباتهم مطابقة للحقيقة وبذلك نفع جزيل للمدينة وسمعة طيبة تكون لها في الخارج مناسبة لمكانتها .

وتحتاج مدرستها الأهلية المسماة بمدرسة الغري إلى مساعدة مالية لفتح صفوف فيها للمتوسطة وإني أوجه الأنظار خاصة أنظار مديرية الأوقاف العامة إلى تعمير بعض المساجد لتكون مناسبة لبلدة عظيمة مقدسة مثل هذه البلدة .

أما تبليط الشوارع فهو أمر واجب إذ ليس في النجف إلا بعض الشوارع الخارجية مبلطة وأما الشوارع الداخلية أو بالأحرى الطرق الضيقة الملتوية فيها فهي في حالة يرثى لها .

وقد أشرنا إلى مشروع الماء والكهرباء فأرى أن لا يبقى هذا المشروع محتكراً بيد الأشخاص بل الأفضل أن تقوم البلدية فيه

هذا ما نراه لتجاري هذه المدينة المدن العظيمة نسبة إلى مقامها الديني والأدبي في هذا القطر .